معينات التعبد في رمضان

كتبه

عادل عبد العزيز المحلاوي

مصدر هذه المادة:

الكتيبات الإسلامية
www.ktibat.com

دار القاسم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله المنـان، كـريم الفضـل، واسع الإحسان، أما بعد:

فكم هي عطايا الـرحمن علينـا، وكم هي هبات الملك الديَّان لدينا، كم نغدوا ونروح في فضـله، وكم يغمرنـا بنعمـه، ويسبل علينا ستره.

إلهي لكِ الحمد الذي
علي نعمٍ ما كنت قط
متى ازددت تقصيراً
كأنني علي التقصير

يا الله أحقًّا إننا ننعم بفضل الله علينا ببلوغ شهر رمضان، أهكذا تسرع بنا سـفينة الأيام تمخر في عباب أعمارنا حـتى تسـلمنا إلى الـــدار الآخـــرة، وصـــدق الله ﴿**وَيَـوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ** ...﴾ [يونس:45].

إنها الحقيقة الغائبة عن الأذهــــان، وإن شـــئت قلت : إنه التغافل عنها ؛ لأننا كلنا

على يقين منها.

اعلم أيها المؤمن، واعلمي أيتها المؤمنة .. أن الله يحب أهل طاعته، ويفرح بإقبالهم عليه، ويجعل أسماءهم عالية في الملكـوت إذا كـانوا من أهل خشـيته وخـواص عبـاده الصالحين.

جاء في صحيح مسلم أن سـهيل بن أبي صـالح قـال: كنا بعرفة فمر عمر بن عبد العزيز وهو على الموسم فقـام النـاس ينظـرون إليه فقلت لأبي : يا أبي إني أرى الله يحب عمر بن عبد العزيز قـال: وما ذاك. قلت: لما له من الحب في قلـوب الناس، فقال: بأبيك أنت سـمعت أبا هريـرة يتحـدث عن رسـول الله أنه قـال**: «إن الله إذا أحب عبداً دعا جبريل، فقال: إني أحب فلانـاً فأحبه ، قـال: فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء فيقول: إن الله يحب فلانا فـأحبوه فيحبه أهل السـماء، ثم يوضع له القبـول في الأرض...»**.

فهل سـمت نفسك لبلـوغ هـذا الفضـل،

وتحــركت همتك لتفــوز بهــذا العطــاء، إنها الجنة (دار المتقين) إنه الفضل المعجل في الـدنيا (محبة المؤمـنين) وكن على يقين أنه لا وصــول لتلك الكرامة إلا بالعمل الصــالح الــدؤوب، وشــهر رمضــان فرصة عظيمة للازديـاد من الأعمـال الصـالحة وبين يـديك خطــوات تبلغك بــإذن الله تلك المنــازل، وتوصلك تلكم الدرجات، ومن ذلك:

أولاً: تذكر فضل الزمان

من عرف رمضان بفضله، وأيقن بموسم الغفران وعلو منزلته، علت همته لاغتنامــه، وسمت نفسه لمبادرة سـاعاته، ولم يفــرط بلحظة من لحظاته ليقينه بأنه إن فاتته هذه الأيـام فلن تعوضـها كنـوز الـدنيا بأسـرها؛ وصـدق اللـه: ﴿**قُـلْ مَتَـاعُ الـدُّنْيَا قَلِيـلٌ وَالْآَخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُـونَ فَتِيلًا**﴾ [النساء:77]، وإن انتهى ولم يغتنمه عــاش الحســرات في آخــره ، كم تحسر أكثرنا عند نهاية رمضــان كل عــام مضــى، لعــدم اغتنامه وفواته عليــه، فهل ســيكون الحال مثله هذا العام؟!

إن رمضان موسماً تضاعف فيه الحسنات، وتكفر فيه الذنوب والخطيئات، أيامه سبيلك إلى الجنان، وصيامه يقربك من الرحمن، يسمو بنفسك، ويطهرها من درن الذنوب والمعاصي، ليلة خير ليل فيه تنزل أعظم كتاب، قامه رسول الله ﷺ وحث أمته على قيامه، وبشرهم أن قيامه وصيامه يكفر الذنوب والسيئات، فيه ليلة العبادة فيها تعدل عبادة أكثر من ألف شهر، الصدقة فيه ثوابها يضاعف، والعمرة فيه كحجة مع نبيك، والدعاء فيه مسموع، وعطاء الرب للعباد عليهم ممنوح، من مات بعد صيامه يرجى له حسن الختام.

فهل سمت همتك للعمل الصالح فيه؟

ثانياً: مجاهدة النفس

كن على يقين أن لا وصول إلى منازل الأبرار، والتنعم في الجنة دار الأطهار إلا بمجاهدة النفس وقسرها على الحق قسراً وذلك أن بين العامل وبين الوصول إليها مركب المكاره، جاء في الحديث: **«حفت الجنة بالمكاره...»** [رواه مسلم].

لقد وعد الله أهل المجاهدة بالهداية إلى سبيل الخير، والإعانة على مراضيه، فقال سبحانه – وهو أصدق القائلين، وأعظم الموفين :- **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ** [العنكبوت:69].

واعلم أن النفس حصان شرود، تحب الراحة، وتؤثر الدعة، فلابد من مجاهدتها وإلا أضرت بصاحبها، وارجع بذاكرتك إلى الوراء إلى أناس خرجوا من الدنيا وهم على حال التفريط!

ألم يكونوا يعلموا بفضل الطاعة، وعلوا درجة العابدين؟ بلى وربي. ولكنهم لم يجاهدوا أنفسهم على طاعة الرحمن، وإلزامها سلوك سبيل الرشاد.

أما من فقهوا حقيقة الدنيا والآخرة فتأمل في حالهم، وانظر كيف كان جهادهم لأنفسهم وتربيتهم لها.

كان زياد بن أبي زياد - مولى ابن عياش - يخاصم نفسه في المسجد يقول: أين تريدين؟ أين تذهبين؟ أتخرجين إلى أحسن

من هـذا المسـجد؟ انظـري إلى مـا فيـه، تريدين أن تبصري دار فلان ودار فلان؟ ثم يقســـر نفســـه على الجلـــوس في المسجد للعبادة:

يا خاطِب الحورِ
لِوصالِهن بجنة
أسرعِ وحِثِ السير
مسراك هذا ساعة
هي جنِة طابت وطاب
فنعيمها باقٍ وليس

ثالثا: البيئة الصالحة

وهي المحضن المعين، والعامل القـــوي الــذي يأخذ بيد كل طــالب للعمل الصــالح، ويـــدفع كل مجتهد راغب، وكم من آية تحث رســـول الله ﷺ - وهو المؤيد بـــالوحي من الســـماء – بلـــزوم صـــحبة أهل الخـــير، والجلـوس معهم، قـال سـبحانه: ﴿**وَاصْـبِرْ نَفْسَـــكَ مَـــعَ الَّذِينَ يَـــدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَـدَاةِ وَالْعَشِـيِّ يُرِيـدُونَ وَجْهَـهُ وَلَا تَعْـدُ عَيْنَـاكَ عَنْهُمْ تُرِيـدُ زِينَـةَ الْحَيَـاةِ الـدُّنْيَا وَلَا تُطِـعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَـهُ عَنْ**

ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَـانَ أَمْـرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف:28].

فـإذا كـان هـذا الأمر لنبينا عليه الصـلاة والسلام فما الظن فيمن هو دونه؟

وإذا كان في ذلك الزمـان فما هو الحـال في هذه الأزمنة؟

وتأمل في أثر الصـحبة لحـال المعتكفين الجـادين، وكيف تسـاعدهم تلك البيئة على العمل الصـالح، فلابد لك من صـحبة طيبة تعينك على اغتنام هذه الأيام، وكن جادا في هـذا ولا تغـتر بحولك وقوتـك، فـالمرء كما قيل: ضعيف بنفسه قوي بإخوانه.

ابحث عنهم وسـتجدهم، وانظر في قصص من سـبق من السـلف الجـادين في عبادة الله، وتأثر بعضهم ببعض.

عن علقمة بن قيس قـال: (بت مع عبد الله بن مسـعود ليلة فنـام أول الليل ثم قـام يصـلي، فكـان يقـرأ قـراءة الإمـام في مسـجد حيه يرتل ولا يراجـع، يسـمع من حوله ولا يرجع صـوته، حـتى لم يبق من الغلس إلا كما بين أذان المغـرب إلى

الانصراف منها ثم أوتر) فتأمل في حال ابن مسعود وتلذذه بالقراءة، وكيف أثرها في نفس طالبه – علقمة.

يقول أحد معاصري محمد بن واسع: كنت إذا رأيت من نفسي ضعفا عن العبادة ذهبت إلى محمد بن واسع فنظرت إلى وجهه فازددت نشاطاً على العبادة أسبوعاً.

فالزم غرز الصالحين، واشدد يديك على المتقين، فنعم المعينين هم على الطاعة، وأكرم بهم من أصحاب.

رابعاً: معرفة قدر الثواب

من لاحت له أوصاف الجنة العالية، وعاش مع أوصافها في آيات الكتاب المبين، وسنة خير المرسلين، وهي تصف دار الكرامة والحبور، وما فيها من خيرات متناهية الأوصاف، ما بين منازل أنيقة في وسط أنهار سارحة تجري من تحتها من غير أخاديد، وغرف قد زينت، وعرائس قد كملت، وأنواع من طيبات المآكل والمشارب، في جوار رب كريم، تاقت روحه وطمعت نفسه لنيل تلك المنازل.

تأمل في سورة الدهر والـدخان، وخاتمة عم والــرحمن، وانظر إلى تلك الكرامــات التي أعدها الله لأوليائه.

إن حيـاة لحظة واحـدة في جنـات النعيم تعدل حياة المرء في الـدنيا مئـات السـنين، فكيف بمن يعيش في تلك الــدار أبد الآبــاد في خيرات متزايدة، وعطايا متناهية؟

فشــمر عن ســاعد الجــد، وانفض عنك غبار الكسل، ودع عنك التواني، فإن العيش قدامي.

خامساً: قصر الأمل

قصر الأمر هــو: توقع قــرب الرحيــل، وحلول الأجل في أي لحظة.

ومــتى ما اســتقر في النفس هــذا الأمر كان له أعظم الأثر في حملها على الطاعة، وجعلها تبــادر الســاعات واللحظــات في العمل الصالح فإنه لم يهلك الناس ويجعلهم يفرطون في الطاعـات سـواء في المواسم المباركة أو غيرها إلا طـول الأمـل، فلو قيل لأحــدنا: هــذا آخر رمضـان لك في الحيــاة، فكيف سيكون حاله ونشاطه؟

مع أننا كلنا على يقين أنه سيكون هذا آخر رمضان لبعضنا (أطال الله في أعمارنا على طاعته).

كم نعرف ممن صام وقام معنا في العام الماضي، والأعوام الماضية، فأصبحوا تحت أطباق الثرى محبوسين، وبأعمالهم مجزيين.

ولذا جاء الأمر في المبادرة والمسابقة للعمل الصالح فقال الله :**سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ** [الحديد:21].

قال ابن المبارك: ركبت مع محمد بن النضر في سفينة، فقلت: بأي شيء أستخرج منه الكلام ؟ فقلت له: ما تقول في الصوم في السفر؟ فقال: إنما هي المبادرة يا بن أخي.

فجاءني والله بفُتْيا غير فُتْيا إبراهيم والشعبي.

بادرِ إلى التوبة
والموتِ ويحكٍ لم
وارقبْ من الله وعدا
لابد لله من إنجاز ما

قـال ذو النـون: الكيس من بـادر بعملـه، وسوف بأمله، واستعد لأجله.

فهكــذا كلما قصر العبد أمله ســارع إلى العمل الصالح خصوصاً في الزمـان الفاضل كرمضان وغيره.

سادساً: صدق الدعاء

صدق الأول يوم قال:

إذا لٍم يِكن من الله
فأولِ ما يجني عليه

فمهما بلغت من حفظ النصـــــــــوص، ومعرفة الثـواب، وعظيم الأجـر، فلن تقـدر على العمـــل، والتقـــرب إلى الله تعـــالى، واغتنـــام هـــذه المواسم وغيرها إلا بمعونة الرحيم الرحمن، فانطرح بين يديه، واصـدق في الرغبة إليـــه، فهو خـــير معين، وأجـــود معطي.

وكن على يقين أنه إن فتح لك هذا الباب فقد أراد بك الخير.

جاء في الحـديث أن رسـول الله ﷺ قـال: **«من فُتح له منكم باب الـدعاء فتحت له أبواب الرحمة...»** [هداية الرواة، وهو حسن كما قال ابن حجر في المقدمة].

ومن كان صادقاً تخير الأوقـات الفاضـلة التي هي أقرب للإجابة قيل يا رسـول الله ﷺ أي الــدعاء أســمع قــال: **«جــوف الليل الآخــر، ودبر الصــلوات المكتوبــات»** [رواه الترمذي وهو حديث حسن].

فــاللهم وفقنا في هــذا الشــهر لهــداك، واجعل عملنا في رضــــــــاك، اللهم اجعلنا ووالــدينا وأهلينا من عتقائك من النــار اللهم آمين.

الفهرس